مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في فلسطين

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

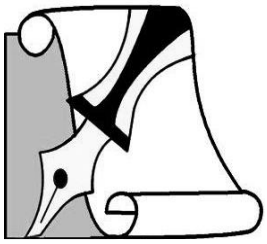

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تحليل نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في فلسطين

أهداف المركز الرئيسية:

1 . إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

2 . الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

3 . بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

4 . إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

النقب تفاجئ إسرائيل.. وحلم "بن غوريون" فيها مهدد

تحذيرات داخلية من أحداث مشابهة للانتفاضة الأولى

ما شهدته منطقة النقب خلال الايام الماضية من محاولات الاستيلاء على المزيد من الأرض العربية، من خلال أداة التشجير، أعاد تسليط الضوء على ما يتعرض له الفلسطينيون فيها منذ النكبة في العام 1948 وصولاً إلى يومنا هذا، على خلفية الصراع على الأرض.

فالمواجهات التي وقعت بين الفلسطينيين، وبين قوات الاحتلال ومستوطنيه في النقب وما شهدناه من عمليات اضطهاد وقمع (وحتى قتل بحق اهالي المنطقة)، ليس سوى قمة جبل الجليد من معاناة استمرت منذ سبعة عقود وزيادة، مارست فيها الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة سلسلة من الاعمال العدائية والقتل المتلاحقة على السكان هناك، من خلال قمعهم أمنياً، ومحاربتهم اقتصاديا، وملاحقتهم في لقمة عيشهم.

قبل نحو عقد من الأعوام دارت معركة عرفرت حينها باسم "مخطط برافر" تكللت بالنجاح ودفن المخطط في أواخر العام 2013، لكن من دون تخلي الكيان الغاصب عن نهائيا. واستهدف المخطط في ذلك الوقت مصادرة مئات آلاف الدونمات من العرب الأصلانيين في تلك المنطقة، والذين بلغ عددهم نحو 200 ألف نسمة، وذلك من خلال حشرهم في أقل من 100 ألف دونم، أي أقل من واحد بالمئة من مساحتها الإجمالية.

ـ تهويد النقب ورؤية بن غوريون

بعد نشأة الكيان الصهيوني، قال ديفيد بن غوريون مُعبّراً عن مأزق الكيان السكاني والأمني في النقب: "صحراء النقب هي المساحة الأوسع والأكثر فراغاً في البلاد، وعليه فإنَّ من الخطر جداً أنْ تتسامح إسرائيل مع وجود صحراء بداخلها، فإذا لم تُلغِ الدولة تلك الصحراء، فستُلغي الصحراء الدولة."

تجاهل وجود فلسطينيي النقب المُهجّرين والصامدين هو الجزء الأول من الرواية الصهيونية المُزيّفة (أرض بلا شعب)، والاستيطان اليهودي في النقب هو جزؤها الثاني (لشعبٍ بلا أرض). والرواية بجزءيها – التهجير والاستيطان – اسمها (حلم بن غوريون). الحلم الذي قدّم بن غوريون نفسه قدوة عملية لتحقيقه، فترك بيته في المستوطنة الكُبرى تل أبيب وسط الكيان، ليسكن في كوخٍ صغير في مستوطنة (سديه بوكر) الصغيرة جنوب الكيان في النقب عام 1953، بعد انتهاء مرحلة رئاسته الأولى للوزراء، واستمر مُقيماً فيه حتى وفاته عام 1973، ليتحوّل كوخه إلى متحفٍ يزوره الصهاينة – مستوطنين وسُياحاً – وليكون مَعلماً استيطانياً مُحرِّضاً اليهود على الاستيطان في النقب وكل فلسطين.

ـ الأهمية الجغرافية والأمنية للنقب

تشترك صحراء النقب في الجزء الجنوبي في حدودها مع الأردن شرقا وصحراء سيناء غربا، ويفصلها عن البحر الأحمر مدينة "إيلات" من جهة الجنوب، أما من الجهة الشمالية، فتعد مدينة الخليل من أقرب المدن الفلسطينية إليها.

تغطي النقب مساحات واسعة من الأراضي الزراعية الخضراء التي تقاسمتها القبائل البدوية لقرون. مع قيام دولة الاحتلال في حرب عام 1948 أجبر الاحتلال قرابة الـ100 ألف بدوي على الرحيل من منطقة النقب، وتحول أغلبهم إلى لاجئين في الأردن وشبه جزيرة سيناء وقطاع غزة، ومناطق الضفة الغربية، خصوصا مناطق الخليل والأغوار والقدس.

منحت السلطات الإسرائيلية البدو الجنسية الإسرائيلية، لكنها لم تعترف بملكيتهم على 13 مليون دونم ولم تعترف بنحو 35 قرية. واستطاعت سلطات الاحتلال محاصرة نحو 56 بالمائة منهم في سبع بلدات أقامتها لهم، رغم افتقارها للبنية التحتية من صحة وطرق وتعليم وكهرباء وماء وغيرها، فيما يعيش الباقي نحو 44 بالمائة في قرى متناثرة فوق أرضهم التاريخية تصفها سلطات الاحتلال بأنها "غير شرعية" أو "غير معترف بها."

تبرز أهمية منطقة النقب، الواقعة شرقي مدينة بئر السبع المحتلة، في أنها تُعتبر المنطقة حيوية، من حيث إنها تضم أهم القواعد العسكرية الاستراتيجية للعدو، ومرافقه الأمنية الحساسة (واهمها مفاعل ديمونا)، وشبكة الطُّرق التي يسلكها جيش العدو وأرتاله العسكرية، والتي تحيط بها القرى الفلسطينية البدوية في النقب.أمّا الأراضي التي صودرت منهم، فأُعلن عنها مناطق عسكرية مغلقة، وسرعان ما انتقلت إلى «أملاك الغائبين".

وفقا لتقرير أصدره مراقب الدولة الإسرائيلي، متنياهو أنغلمان، بتاريخ 2021/08/04، فإن السلطات الإسرائيلية "لا تعلم عدد السكّان البدو في النقب، ولا علم لها بعددهم في كلّ واحدة من البلدات البدوية، حيث تشير معطيات سلطة السكان إلى أنه يوجد 151 ألف مواطن في البلدات البدوية السبع، و80 ألفاً في القرى المسلوبة الاعتراف، بينما تشير "سلطة تسوية البلدات" إلى أنه يوجد "105 آلاف مواطن في البلدات البدوية السبع، و103 آلاف في القرى المسلوبة الاعتراف". اما سبب هذه الفجوات هو أن «سكّان القرى غير المعترَف بها لا يوجد لهم عنوان رسمي".

ـ سياسة هدم المنازل واستبدالها بمستوطنات

منذ عام 2015 حتى 2020 تم هدم 11 ألف و600 منزل في القرى غير المعترف بها، في المقابل استطاعت السلطات الإسرائيلية إقامة أكثر من 200 مستوطنة وبلدة للمواطنين اليهود، وأكثر من 100 مزرعة فردية من دون أن تكون لهم ملكية على الأرض أو أي أوراق ثبوتية، ويشجع الاحتلال، باستمرار على انتقال السكان اليهود من جميع أنحاء إسرائيل إلى النقب. فالسياسة الرسمية التي انتهجتها تل أبيب على مر السنين، كانت عدم الاعتراف في القرى البدوية، بل تركيز وتجميع السكان في مناطق حضرية ليتم تقليص مساحات الأراضي الموجودة بحيازة المواطنين البدو والتضيق عليهم، علماً أنهم يحملون الهوية الإسرائيلية .

ـ المخطط الاستيطاني في النقب وعمليات التشجير لسلب الاراض

بلغت عملية تهويد المنطقة أوجها في ما سمي "الخطة القومية الاستراتيجية لتطوير النقب" المقرة من الحكومة الإسرائيلية عام 2005 وتتلخص هذه الخطة في زيادة عدد اليهود بحيث يصلون إلى قرابة المليون نسمة، على ألا يزيد العرب على الـ200 ألف نسمة.

أوكلت تنفيذ هذه المهمة الاستيطانية إلى ما يُعرف بالصندوق القومي اليهودي (كيرن كيميت ليسرائيل) المعروف اختصاراً بـ(كاكال)، المسؤول عن تمويل الاستيطان اليهودي في فلسطين مطلع القرن العشرين، والمسؤول حالياً عن عملية تشجير النقب، كمدخل لنزع ملكيتها من فلسطينيي النقب، تمهيداً لإقامة المستوطنات عليها **تحت شعار: إنْ لم نصمد في الصحراء فستسقط تل أبيب"**.

يقوم مشروع التشجير، على زراعة أرض النقب المملوكة للفلسطينيين بالأشجار باعتبارها أراضي دولة، بهدف إبعاد أصحاب الأرض الفلسطينيين عن أرضهم ومنعهم من رعي أغنامهم فيها واستخدامها في الزراعة الموسمية، وهذا يعني اقتلاعهم من أرضهم التي عاشوا عليها رعاة ومزارعين منذ فجر التاريخ، وتحويلهم من منتجين إلى مستهلكين يضطرون إلى العمل بالأجر في خدمة المستوطنات اليهودية والمؤسسات الإسرائيلية.

- تهجير سكان النقب

تمتد النقب على مساحة حوالي 14 ألفا و230 كيلومترا مربعا، أي ما نسبته 68 بالمائة من مساحة فلسطين 48، البالغة 20 ألفا و770 كيلومترا مربعا. وقدّرت مساحة الأرض التي كان يعيش عليها البدو قبل النكبة بـ4 ملايين دونم، وفقا لقانون الأراضي العثماني عام 1858، والمرسوم البريطاني بشأن الأرض البور عام 1921، بينما يعيشون اليوم على 300 ألف دونم.

رافق مخطط عسكرة النقب على حساب الوجود العربي البدوي، استقدام 300 ألف يهودي إلى جانب مليون يهودي يسكنون النقب الآن، وتوطينهم في الصحراء بذريعة "تطوير النقب"، وذلك عبر التركيز على تشجيع الشباب والنخب الأمنية والعسكرية للقدوم للنقب ومنحهم مسطحات الأراضي المجانية للمزارع الفردية، والتحفيزات، والامتيازات، والتسهيلات المالية، والضريبية.

قبالة مخطط ما يسمى "تطوير النقب"، الذي يرافق بمخططات بنى تحتية من شبكة طرقات وسكة قطار وخطوط كهرباء ضغط عال، والشروع بمرحلة جديدة من شارع "عابر إسرائيل" لربط الجنوب بمنطقة مركز البلاد، تواصل السلطات الإسرائيلية مخططاها الهادف لمصادرة 850 ألف دونم بملكية العرب بالنقب والحد من سيطرتهم وملكيتهم للأرض، بحسب المزاعم الإسرائيلية.

يوجد في النقب في 35 قرية لا تعترف بها إسرائيل، البالغ عدد سكانها 150 ألف نسمة، من أصل 300 ألف عربي يسكنون النقب، حيث يخوض السكان معركة الحفاظ على الوجود، مع إطلاق الحكومة الإسرائيلية مشروع "الاستيطان الأخضر" في قلب التجمعات السكنية البدوية، بإقامة 12 مستوطنة جديدة وعشرات المزارع الفردية لليهود.

وما هي علاقة الحركة الاسلامية بما يجري بالنقب؟

ساهمت موافقة رئيس "الحركة الإسلامية الجنوبية" منصور عباس الذي حصل على دعم كبير في انتخابات "الكنيست" الأخيرة من القرى البدوية، على المشاركة في الائتلاف الحكومي، في تشكيل الحكومية الإسرائيلية برئاسة اليميني المتطرف نفتالي بينت.
وفي مقابل دعمه للحكومة، حصل عباس على وعد بالاعتراف بثلاث قرى في النقب وتجميد هدم بيوت سكانها، بالإضافة إلى وعود بتقديم المساعدة للبدو وتخصيص مبلغ بقيمة 30 مليار شيكل (حوالي تسعة مليارات دولار) لدعم المجتمع العربي.
كانت تسوية أوضاع بدو النقب، تفترض أن تكون إحدى أوراق عباس الرابحة، لكن ماذا عن موقف بينيت الفعلي؟

ـ موقف بينت الفعلي من تهجير اهالي النقب

حين سُئل بينيت في مقابلة كيف ادّعى خلال حملته أنه سيُعيد السيادة على النقب، ثم وعد بعدها العرب بالاعتراف بقرى غير معترفٍ بها، أجاب بأريحية أن "العكس هو ما سيحصل."

نفى بينيت مزاعم نتنياهو بـ"بيع النقب للقائمة الموحدة"، معلقًا: "برنامج الاستيطان لدينا يفعل العكس، فهدفه استعادة الحكم، والعمل على نقل القطاع البدوي من جميع التلال المحيطة إلى مناطق منظمة".

ـ اسرائيل وضرب البنية الثقافية لأهالي النقب.

في حزيران الماضي كتبت "جيروزاليم بوست" عن اجتماع بين إسرائيليين وبدو للعمل على خطة خمسية لتطوير النقب تبدأ هذا العام، قبل ذلك كانت هناك خطة خمسية أخرى للحكومة بدأت عام 2016 زعمت العمل على تطوير المنطقة، لكن هذه الخطط البرّاقة تخفي وراءها نفس المنهج الإسرائيلي.

أخطر ما في الأمر أن إسرائيل تروج للنمو الديناميكي للنقب خلال السنوات الأخيرة، من شركات ومشاريع في مجالات التقنية العالية والتقنية الحيوية والنانو تكنولوجية والاختراعات الخضراء التي تنتقل إلى النقب لجعله مقرًا لها. لكن من تتباهى بهم "إسرائيل" من بدو يدخلون عالم "النانو" البراق، يخفي وراءه مشاريع عدة لضرب بنيتهم وثقافتهم وسرقة أراضيهم.

أما بالنسبة للمخطّطات، فهناك مخطط منطقة الصناعات العسكرية الكيماوية المعروفة بـ"رمات بيكع"، والذي صادقت سلطات الاحتلال عليه عام 2019 وسيبدأ عام 2023. بموجبه، ستُنقل مصانع عسكرية ومصانع كيميائية خطيرة، من منطقة ساحلية إلى أراضي النقب.

وتشمل المخططات ايضا، "شارع 6" المعروف أيضًا بـ"شارع عابر إسرائيل"، والذي يُفترض أن يربط شمال الأرض المحتلة بجنوبها، ومخطط مناجم الفوسفات والتي تُستخدم بشكلٍ أساسي لأغراض عسكرية وزراعية، ومخطط منطقة التدريبات العسكرية ومشروعي سكك "عراد" و"ديمونا".

ـ وكيف تقيم اسرائيل احداث النقب؟

تعتبر أوساط العدو أن الأحداث تفجّرت على خلفيتين وطنية وقومية، وجاءت في أعقاب تحريض فلسطيني ممنهَج، تنامى منذ معركة "سيف القدس"، التي شهدت فيها الأراضي المحتلة عام 1948، ما يشبه الانتفاضة ضد جنود الاحتلال والمستوطنين. فالعدو يعتقد أن حادثة التشجير التقطها الفلسطينيون

في النقب المحتل، للتعبير عن هويتهم وتمسكهم بالسردية الفلسطينية منذ النكبة، ومفادها أن هؤلاء المستوطنين مجرد أغراب عابرون، وسيرحلون يوماً ما عن أرض الآباء والأجداد.

صنّف العدو الإسرائيلي الساحة الفلسطينية، في الأرض المحتلة عام 1948، على أنها تهديد استراتيجي يفوق خطره تهديد الصواريخ، وذلك منذ أحداث أيار 2021.

وحذّرت أوساط إسرائيلية متعددة من أن الفلسطينيّين البدو، في منطقة النقب، يمرّون فيما سمَّته "مرحلة الفلسطنة والأسلمة"، وطالبت بمواجهة هذه الظاهرة، قبل تحوّلها إلى خطر حقيقي على الدولة العبرية.

ـ الهبة الجماهرية في النقب علامة فارقة في تاريخ المنطقة.

تشكّل الهبّة الجماهيرية الجارية في النقب، محطّة جديدة وعلامة فارقة في تاريخ المنطقة، كونها تُعدّ الأولى من نوعها منذ سنوات طويلة، إذ ساد الصمت طيلة الفترة الماضية على عمليات تجريف أراضي الفلسطينيين والقرى المسلوبة الاعتراف هناك، واكتفى الأهالي بالتوجّه إلى المحاكم الإسرائيلية، في محاولة لوقْف أعمال سرقة الأراضي أو تجميدها على الأقلّ. ولذلك، مثّلت المواجهات الحالية مفاجأة لدى منظومة العدو.

ـ النقب والتهديد الديموغرافي الاسرائيلي

لفهم ما يخيف الاحتلال من التواجد العربي في المدن الفلسطينية، منها النقب، وكذلك منطقة الجليل في الشمال الفلسطيني، نشرَ معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي عام 2017 دراسة عن المخاوف الإسرائيلية المتزايدة من مخاطر التوزيع الديموغرافي داخل دولة الاحتلال، وعن الآليات المتّبعة لتكسير التواجد العربي المكثَّف في مناطق معيّنة وتفريقه.

وبحسب المعهد، يشكّل تقويض التوازن الديموغرافي في النقب والجليل تهديدًا جيوسياسيًّا على "إسرائيل". وتنبع المخاوف الإسرائيلية من أن يتحول الشعور لدى المجتمع الفلسطيني في المناطق المحتلة إلى شعور أقليات داخل "إسرائيل"، خاصة مع تذمُّر فلسطينيي الداخل من الأوضاع السياسية والاجتماعية والتمييز الإسرائيلي بحقّهم. ويتمثل التخوُّف الإسرائيلي الآخر، في أنَّ تركُّز العرب في الجليل والنقب قد يصعّب المهمة أمام "إسرائيل" في إنفاذ القانون الإسرائيلي في هذه المناطق، خصوصا فيما يخصّ البناء، وأيضًا أن تطبِّق هذه الأقليات لاحقًا قوانين محلية "عشائرية" ذات صلة بالدين واللغة، ما يؤثِّر على طابع دولة "إسرائيل" وهويتها.

الخلاصة

تسود حالة من القلق لدى مختلف المحافل الأمنية والعسكرية الإسرائيلية بسبب انتفاضة سكان النقب ضد انتهاكات الاحتلال بحقهم. تعتبر اسرائيل أن المواجهات العنيفة التي اندلعت في النقب مؤخرا، تعكس الاندماج الخطير بين أزمة سياسية شديدة وبين تهديد أمني داخلي".

تحذر دوائر استخباراتية من أن الحكومة في حال لم تستيقظ بسرعة، يمكن أن تجد نفسها أمام الخطر الأمني الأخطر الذي سجل في إسرائيل منذ المواجهات التي وقعت في المدن المختلطة أثناء العدوان الإسرائيلي الأخير على غزة".

ونبهت هذه الدوائر من أن "الأجواء في أوساط البدو في النقب تسخن بالتدريج وبالأساس على خلفية الخوف من استئناف هدم البيوت، وقفز الغضب درجة بسبب التشجير في أراضيهم"، لافتة الانتباه إلى أن حكومة نفتالي بينيت تستخدم "التشجير من أجل إبعاد السكان البدو عن الأراضي التي يعيشون فيها".

عكست تصريحات إسرائيلية متعددة، حجم التخوف من تداعيات الأحداث في النقب المحتل، وقال رئيس قسم العمليات السابق في جيش العدو، اللواء يسرائيل زيف، إن "المواجهات المندلعة في النقب تُعِيدنا إلى أحداث مشابهة خلال الانتفاضة الأولى. ويمكن القول إن هناك انتفاضة شعبية حقيقية في النقب. فالمواجهات هي الأقوى منذ سنوات، وما زالت تتصاعد بوتيرة يومية".

في المحصلة، يُتوقَّع أن تستمر أحداث النقب، وقد تنتشر في مدن وقرى فلسطينية فالمشهد الفلسطيني الممتدّ منذ معركة "سيف القدس"، تدل على أننا أمام مرحلة جديدة في الصراع مع العدو، تبشّر بمراكمة مزيد من النقاط لمصلحة الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة.